المحاضرة الثانية :

الاوضاع العامة في العراق للفترة ١٦٣٩ – ١٧٠٤

شهد تاريخ العراق الحديث اثناء فترة الصراع الصفوي العثماني كثرة الاضطرابات السياسية والاقتصادية والفوضى وعدم الاستقرار بسبب الحروب الطويلة بين الدولتين ، كما تميزت الساحة العراقية اثناء تلك الفترة بكثرة تغير الولاة العثمانيين اذ بلغ عددهم اكثر من (تسعة وثلاثون والياً) وقد ادى ذلك الى خلق حالة من عدم الاستقرار ، فضلا عن ذلك فقد تميزت تلك الفترة بكثرة التمردات العشائرية واضطراب حالة الامن في بغداد وانخفاض معدلات الانتاج الزراعي وتدهور الصناعة والتجارة وكثرة الاوبئة والامراض والآفات الزراعية والفيضانات .

ومن ناحية العشائر حدثت اضطرابات عشائرية في منطقة السماوة اذ قام امير الخزاعل مهنا بن علي بفرض سيطرته على السماوة واطرافها فحدث نزاع وصدام مع درويش محمد باشا وقتل اعداد كثيرة منهم في هيت وبغداد والسماوة وسيطرة على مدينة بغداد وقام ببناء الاسوار والمساجد ، ولم يستمر حكم محمد باشا طويلا سوى ستة اشهر فخلفه حسين باشا عام ١٦٤٤ وغيرها من التمردات والصراعات الحاصلة التي دلت على ضعف السلطة المركزية

وسيطرة فيالق الانكشارية وخروجهم عن طاعة السلطان العثماني وهذا ما ادى الى ان يقدم سكان بغداد شكوى الى الباب العالي ضد الوالي موسى باشا لذلك استدعاه الباب العالي وعندما ثبتت صحة الادعاء نفذ به حكم الاعدام عام ١٦٤٨ فخلفه في حكم بغداد احمد باشا ، استمر حكم احمد باشا لبغداد حتى سنة ١٦٥٠ .

اما الضرائب فقد كانت باهضة بسبب افلاس خزينة الدولة العثمانية فكانت السلطة العثمانية عن طريق الجباة او الملتزمين تأخذ ضريبة سنتين مقدما من الاهالي والولايات وهذا ما ادى تدهور القيمة الشرائية وهجرة الكثير من الفلاحين من الريف الى المدن وترك مساحات واسعة من الاراضي بدون زراعة فضلا عن السلطة العثمانية لم تأخذ بنظر الاعتبار الكوارث الطبيعية والامراض التي مر بها العراق انذاك .

اما عدد سكان بغداد انذاك قدر بخمسة عشرة الف فقط بينما كان خلال الفترة ١٥٧٠- ١٥٩٠ ما يقارب تسع وثلاثون الف ما عدا قبائل البدو والرحل واليهود والمسيحيين ، وهذه الاحصائية حسب ما اشار اليها المؤرخ التركي الكبير(عمر لطفي بركان) استنادا الى الوثائق العثمانية المحفوظة في الارشيف العثماني الخاص بتاريخ العراق ، وعلى ما يبدو ان تناقص عدد سكان اهالي بغداد كان

بسبب الحروب العثمانية – الصفوية الكثيرة التي شهدها العراق فضلا عن الامراض كالطاعون وغيره وسوء الخدمات الصحية .

ان اهم ما يميز الساحة العراقية انذاك هو عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي بسبب التنقل السريع للولاة من مناصبهم دون قيامهم بإصلاحات اقتصادية واجتماعية وثقافية لعدم وجود الفرصة الكافية لذلك ، كذلك الكوارث الطبيعية هي الاخرى كانت تعمل على ايجاد نوع من عدم الاستقرار ففي عام ١٦٤٩ فاض نهر دجلة وكادت ان تغرق بغداد كذلك عام ١٦٩٠ انتشر مرض الطاعون في بغداد واطرافها وقد رافق ذلك اعمال نهب وسلب وتدهور اقتصادي .

واخيرا اذا اردنا ان نعزي اسباب التبدل السريع في ولاة بغداد فذلك يعود الى القانون العثماني الذ حدد فترة بقاء الوالي في الولاية بسنة واحدة ، كثرة النزاعات والصراعات بين الولاة انفسهم من اجل الوصول الى الولاية والصدارة مما ادى الى عزل ومقتل الكثير منهم ، عدم كفاءة بعضهم وسوء ادارتهم، واخيرا تمردات وعصيان العشائر، هذه العوامل مجتمعة في سرعة نقل الولاة وبالتالي فقدان الامن وعدم الاستقرار في العراق .